يقولُون لم يُورَثْ وَلَوْلاَ تُرَاثُهُ لَقَدْ شَرِكَتْ فيهِ بَكيلٌ وَأَرْحَبُ
فإنْ هِيَ لم تَصْلُحْ لِحيٍّ سِواهُمُ فإنَّ ذَوِي القُرْبَى أَحَقُّ وأَقْرَبُ (١)

فهو يجادل بني أميَّة في ادِّعائهم ميراثَ الرَّسول بحكم كونهم من قريش ، فيقول إنه إذا كانت الخلافة حقا وراثيا فالهاشميون أقرب نسباً إلى الرَّسول من بني أميَّة ، أمَّا من يحتجُّون بأن الخلافة لا تورث فإنه لو صَحَّ ذلك ، لكان من حقِّ أي قبيلة عربيَّة أن تطالب بها ، حتى تلك البعيدةِ عن نسب الرَّسول ، مثل هاتين القبيلتين اليَمَنِيَّتَيْن .

وتمضي هاشميَّات الكميت على هذا النَّحو من الضَّرْب على الوتر العاطفي من ناحية ، والحِجاج العقلي من ناحية أخرى ، على أن الذي يهمُّنا من هذه القصائد هو ما تضمَّنته من مديح الرَّسول أو رثائه . ولعلَّ الكميت هو أوَّل من عاد إلى مثل هذا الموضوع بعد مُضِيِّ قريبٍ من قرن من وفاة الرَّسول . فنحن نراه يقول في هاشِمِيَّته البائيَّة الثّانية :

فَاعْتَبَ الشَّوْقُ من فؤادِيَ والشِّـ ـعْرُ إلَى مَنْ إلَيْهِ مُعْتَتَبُ
إلى السِّراج المنيرِ أَحْمَدَ لا تَعْدِلْنِي رَغْبَةٌ وَلا رَهَبُ
عَنْهُ إلَى غَيْرِهِ وَلَوْ رَفَعَ النَّاسُ إليَّ العُيُونَ وارْتَقَبُوا
وقيلَ أَفْرَطْتَ بَلْ قَصَدْتُ وَلَوْ عَنَّفَنِي القائِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا
إلَيْكَ يا خَيْرَ مَنْ تَضَمَّنَتِ الـ ـأَرْضُ وَلَوْ عَابَ قَوْلِيَ العُيُبُ
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فِيكَ اللَّجاجُ واللَّجَبُ
أَنْتَ المُصَفَّى المَحْضُ المُهَذَّبُ في النِّـ ـسْبَةِ إنْ نَصَّ قَوْمَكَ النَّسَبُ

وقد أورد الجاحظ هذه الأبياتَ في كتابين من كتبه ، وعلَّق عليها منتقداً

(١) ابن آمنة : يعني به الرسول ﷺ ، بَكيل وأَرْحَب : قبيلتان يمنيتان .